

محمد دكروب*

طه حسين في "الكاتب المصري":

هل خدم الصهيونية من دون أن يدري؟**

يفند الكاتب الشبهات التي أحاطت بطه حسين بشأن قبوله ترؤس تحرير مجلة "الكاتب المصري"، وهي مجلة كانت تملكها عائلة هراري اليهودية المصرية. وقد انزلق بعض النقاد إلى ترويح كلام وشائعات عن أنه خدم الصهيونية ربما من غير أن يدري، وأن هذه المجلة أدارت ظهرها للقضية الفلسطينية، ولم تتناول أحداثها قط. وهذه المقالة مكرسة كلها لتفنيد هذه الشبهات والشائعات استناداً إلى المجلة نفسها؛ فهي دراسة توثيقية تحليلية تنير هذا الالتباس، وتكشف الكسل الثقافي لبعض النقاد وقصورهم عن توخي الدقة في هذا الأمر بالتحديد.

أولاً: طه حسين بين

قفص الاتهام ومرافعات الدفاع!

في النصف الثاني من سنة 1945، وكنا في مطلع الشباب نتطلع إلى المستقبل، وصلنا من القاهرة خبر جميل فرحنا به وبعوده. لكن سرعان ما لحق بالخبر شائعات واتهامات بشعة أوقعتنا في حيرة موجعة تميل إلى عدم التصديق.

أمّا الخبر الجميل فهو أن طه حسين يعتزم إصدار مجلة فكرية شهرية بعنوان "الكاتب المصري"، وأن مجموعة من الكتاب والباحثين المستنيرين تؤازره في مشروعه. وتولدت في وعينا ثقة أكيدة بأن هذه المجلة ستكون طليعية عقلانية في مجالات الفكر والبحث والآداب والفنون، وربما في مجال الفكر السياسي أيضاً، كطه حسين نفسه. أمّا الشائعة التي لحقت بهذا الخبر، فاستند مطلقوها إلى واقع أن شركة "الكاتب المصري" الخاصة بالأدوات المكتبية تملكها عائلة من اليهود المصريين، فسارعوا إلى اتهام المجلة - مسبقاً - بأنها ستكون في خدمة الصهيونية!!

وقد أشارت إلى ذلك، في الفترة نفسها، مجلات "الاثنين" القاهرية، و"الصيد" البيروتية، و"المكشوف" اللبنانية، علاوة على جريدة "البلاغ" الفلسطينية.

فهل كانت هذه التقرّلات صحيحة، ولا سيما أنها تناولت طه حسين بالذات؟

قلنا: لنتنظر صدور مجلة "الكاتب المصري" نفسها، فنرى ما تحمل من أفكار ومواقف، وخصوصاً فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية بالذات.

لكن، في أي شكل وأي صيغة أوردت تلك المجالات إشارات إلى هذا الموضوع الاتهامي الخطير والمؤذي لطه حسين؟ ● مجلة "الاثنين"، الصادرة عن دار الهلال في مصر، كانت توزع، في تلك الفترة، في لبنان، وكانت نسخ منها تصل إلى مدينتي "صور"، وأذكر أن المجلة وجّهت سؤالاً إلى طه حسين عن هذه المسألة، وبقيت في ذاكرتي اللهجة الساخرة في جوابه الإنكاري والاستنكاري.

بعد أعوام طويلة، وفي فترة تجميعي مراجع تفيدني في وضع كتابي: "على هامش سيرة طه حسين"، والذي سيصدر قريباً، عثرت على سؤال مجلة "الاثنين" وجواب طه حسين عنه، اللذين نُشرا بعد أسبوع من صدور العدد الأول من "الكاتب المصري" (تشرين الأول/أكتوبر 1945)، وفيه تسأل المجلة ما يلي: "يقولون عنك إنك تعمل (عبر مجلة الكاتب المصري) على مساعدة الصهيونية، فماذا تقول؟" فيجيب بحسم وسخرية وبما يشبه الانفعال: "إن مجلات (دار الهلال) آخر من يجوز لها إلقاء هذا السؤال. فهي تعرفني حق المعرفة، وقد كتبت فيها منذ نشأت حتى الآن. وليت الذين يذيعون مثل هذا الكلام الفارغ يستطيعون أن يبلوا في خدمة العروبة مثلما أبليت، ليس أدلّ على أنني أساعد الصهيونية من أن أحيي الأدب العربي القديم فأنشر ديوان أبي تمام وما كتبت عليه من الشروح في العصور الأولى وأنشر روائع الأدب العربي للجاحظ وأبي هلال العسكري وغيرها، وأنشر أشياء تتصل بعلم القرآن الكريم، والكثير جداً من الدراسات في التراث الثقافي العربي. فأني مساعدة للصهيونية أقوى من هذا؟ أمّا مجلة (الكاتب المصري) التي أسست، كما يقال، لمساعدة الصهيونية، فستكون بين أيدي الناس حين يظهر هذا العدد من مجلة (الاثنين) (تشرين الأول/أكتوبر 1945) وسيقرأون ما فيها

ويستوثقون من أنها مجلة أقل ما توصف به أنها لسان صادق للأدب العربي الرفيع" (مجلة "الاثنين"، 1945/10/8).

● وقد تقصد طه حسين أن يكون أكثر صراحة وحسماً وتفصيلاً ودقة، في جوابه عن سؤال للأديب الفلسطيني خليل شطارة، بعد أن تفتتت تلك الشائعات في عدد من البلدان العربية ومنها فلسطين (قبيل احتلال الأرض وإقامة دولة إسرائيل فوق القسم الأكبر من الأرض الفلسطينية). فالاستفسار والجواب لهما - هنا - معناهما الخاص جداً والمسؤول جداً أيضاً، وهما منشوران في جريدة "البلاغ" الصادرة في فلسطين في 15 تشرين الأول/أكتوبر 1945، حيث ورد أن خليل شطارة يستفسر من طه حسين (في رسالة خاصة) عن هذا الموضوع الاتهامي الخطير، فيجيبه هذا الأخير برسالة جوابية جاء فيها:

"تلقيت كتابك. وأنا أشكره لك أجمل الشكر. وأحب أن تطمئن إلى أنني - وقد أنفقت حياتي كلها في خدمة الأدب العربي - لا يمكن أن أنحرف عن حب العرب وخدمتهم... فأما الشائعات التي حدثتني عنها فإن مصدرها المنافسة التجارية من جهة، والضعيفة السياسية من جهة أخرى، والحسد البغيض من جهة ثالثة.. والشر لا يثمر إلا شراً.

"وخلاصة هذه القضية: أن سبعة من اليهود المصريين قد اشتركوا في عمل تجاري صرف، قوامه نشر الأدب العربي قديمه وحديثه، ونقل الجيد من الآداب الغربية إلى لغة الضاد، وطلبوا إلي أن أكون مشيرهم في ذلك فقبلت، بعد أن استقصيت وأحسنست الاستقصاء، وتبينت أن الأمر لا يتصل، ولا يمكن أن يتصل بالصهيونية من قريب أو بعيد. ونحن نصدر مجلة (الكاتب المصري)، وهي مجلة مصرية عربية ظهر العدد الأول من أعدادها. وإنني أتحدى من شاء أن يجد في هذا العدد، وفي الأعداد التي ستليه، إشارة للصهيونية أو تأييداً لها. ومن يدري؟!.. لعل خصوم هذه المجلة يبهتون في يوم من الأيام حين يرون فيها: خصومة عنيفة للصهيونية، وهجوماً عنيفاً على ظلمها، ودفاعاً عن العرب في فلسطين" (نقلاً عن: علي شلش، "طه حسين والأسئلة المرببة"، مجلة "شؤون أدبية"، ربيع 1993، ص 24).

فهل برّطه حسين بوعوده هذه؟

- نعم، وإلى حد بعيد، وبكثير من الهدوء، والموضوعية، والدقة، بما يتلاءم ومجلة شهرية فكرية، بعيدة عن اللهجة الصاخبة المستخدمة في بعض الصحافة اليومية (وسنقدم في صفحات لاحقة، وبالتفصيل عرضاً تحليلياً لهذا التوجّه).

ويقول علي شلش، في مقالته الموضوعية والتوثيقية تلك: "إن هؤلاء الإخوة السبعة هم من أفراد أسرة هراري اليهودية المصرية الغنية العريقة. ومع أن هذه الأسرة كانت من أكبر الأسر اليهودية في البلاد، فلم يرد لها ذكر في أي تجمّع صهيوني، منذ تولى فيكتور هراري (باشا) إدارة الخزانة العامة في عهد الخديوي إسماعيل، وكان آل هراري من الأسر التي انتقدها القائد الصهيوني وايزمن الذي زار مصر في تلك الفترة - لعدم اهتمامها بموضوع الوطن القومي اليهودي وأهمية وعد بلفور."

نشير إلى هذه الواقعة كمجرد معلومة، من دون أن نوليها أهمية أساسية في التحليل، فنحن سنعمل - أساساً - على مقالات المجلة نفسها فيما يتعلق بقضية فلسطين تحديداً... لكننا نرغب في أن نضع القارئ في مناخات النقاش بشأن هذا الموضوع آنذاك، وفي أيامنا.

يشير علي شلش (كما يشير آخرون، ومنهم: رجاء النقاش، وأحمد الخميسي، وعبد العزيز شرف) إلى أن طه حسين كان عارفاً بمطامع الصهيونية، لكنه يفرّق بين الصهيونية والدين اليهودي، "فهو متسامح مع اليهود، وليس في موقفه هذا ما يتعارض مع الإسلام." والعجيب أن خصومه انتقدوه بسبب محاضرة له ألقاها في المدرسة الإسرائيلية بالإسكندرية، في سنة 1943، عن اليهود والأدب العربي، دعا فيها "يهود مصر إلى توثيق صلاتهم بالمصريين من أهل الثقافة العربية، والاندماج في سوادهم اندماجاً روحياً وتدارس أدبهم شعراً ونثراً." وهي دعوة لا تتعارض، وإنما تتفق مع الموقف العربي العام في معارضته هجرة اليهود إلى فلسطين، أو تهجيرهم إليها - كما فعلت بعض الدول العربية!! ودعوة طه حسين هذه تعارض وتقف بوجه التعصّب الديني أو القومي، بين مختلف الأقسام في مختلف البلدان.

ويوضح الناقد المصري العربي رجاء النقاش: "أن طه حسين يتحدث هنا بلغة الوطنية الصافية المتحضرة، وكان من الطبيعي، في ذلك الحين (1943) أن يدعو طه حسين يهود مصر إلى التمسك بوطنهم والاندماج بالمواطنين المصريين" (رجاء النقاش، "طه حسين في قفص الاتهام"، مجلة "الهلال"، أيار/مايو 1977، ص 182)، ذلك بأن

اليهود كانوا يعيشون في مصر كمصريين، ولم يكن يظهر منهم علناً أنهم معادون لمصر أو للعرب، أو متآمرون لحساب الحركة الصهيونية العالمية، بل إن حكومة مصر، في سنة 1935، ضمت وزيراً يهودياً هو يوسف أصلان، وكان وزيراً للمالية، وكانت الحياة الاقتصادية ملأى باليهود كما هو معروف (المصدر نفسه، ص 180). ويلفت النقاش النظر إلى واقع: "أن الظاهرة العامة لدى معظم أبناء جيل طه حسين أنهم لم يفهموا القضية الفلسطينية، ولم يدركوا - في ذلك الحين - أبعاد الحركة الصهيونية إلى حد إقامة دولة إسرائيلية في فلسطين.. والجيل الذي فهم الحركة الصهيونية هو الجيل الذي ظهر في مصر منذ سنة 1948 وما بعدها" (المصدر نفسه، ص 179). وفي هذا إشارة إلى الموقف السياسي المصري العام الملتبس بين المصرية والعروبة، وقلة الاهتمام القومي آنذاك، بما هو خارج مصر، واعتبار المسألة القومية هي المسألة المصرية، وتحرير مصر من السيطرة البريطانية، وتركيز النضال الوطني ضد الاحتلال الإنكليزي.

وفي معرض مناقشة النقاش، الوطنية والمستنيرة، لمن اتهم طه حسين بمسايرته اليهود أو ميله إليهم، يقول بوضوح قومي وأفق إنساني واسع: "إن العرب المعاصرين جميعاً، بمن فيهم الفلسطينيون، يواجهون العالم بمنطق محدد وهو: أن الحضارة العربية الإسلامية عاملت اليهود معاملة ممتازة، لم يجدوا مثلها في أوروبا، وأن اليهود أتيج لهم من حرية الحياة والتعبير في ظلّ العرب ما لم يتح لهم في أي عصر ولا في أي ظرف في مجتمع آخر، فالعرب لم يضطهدوا اليهود ولم يحرموهم من الحياة الكريمة، ولم يضعوا في طريقهم أي عقبة نحو تولي أهم الوظائف وأخطرها... لقد كانت المشكلة الرئيسية لليهود قائمة في أوروبا ومع الأوروبيين، ورغم ذلك كان (حل المشكلة) على حساب العرب، وبذلك تتضح الجريمة التي تم ارتكابها ضد العرب" (المصدر نفسه، ص 181).

وكان الناقد والباحث الكبير لويس عوض، منذ سنة 1945، ضمن صحبة الكتاب الشباب الذين دخلوا الحياة الفكرية العربية من بوابة هذه المجلة الكبيرة، مجلة "الكاتب المصري"، فهو عارف بواقع شركة آل هراري، وبحقيقة المجلة ودورها التنويري... فلمح في كتابه "الحرية ونقد الحرية" (القاهرة: الهيئة العامة للكتاب، 1971)، إلى أن الإخوة هراري "قرروا أن يدخلوا عالم النشر، وتعاقدا مع طه حسين على أن يكون مستشار الدار والمتصرف بكل شؤونها الثقافية... وقد استطاعت هذه الدار، في خلال عامين، أن تصدر أعظم مجلة شهرية ثقافية فكرية عرفها تاريخ مصر الحديث، وأن تصدر عشرات الكتب المترجمة والمؤلفة من أرفع مستوى في الترجمة والتأليف". ثم يوضح عوض مسألة كون الإخوة هراري من يهود مصر، وأن هؤلاء اليهود هم مواطنون مصريون كغيرهم من أبناء الأديان الأخرى: "ففي تلك الأيام (1945) لم نكن ننظر إلى اليهود المصريين إلا على أنهم مصريون، قد يختلفون عنّا في الدين وبعض التقاليد التي تخصّهم، ولكنهم في نهاية الأمر مصريون. على الأقل هذه كانت وجهة نظري ووجهة نظر الكثير من المثقفين. كنّا نفضل فصلاً تاماً بين اليهود والصهيونية". ويؤكد الكاتب أيضاً الواقع الأكثر صدقية بالنسبة إلى مسيرة المجلة، فيقول: "... فكلما تصفّحنا ما كانت تنشره مجلة (الكاتب المصري)، أو ما كان يصدر عن هذه الدار، لم نجد شيئاً يقبل التأويل إلى شيء من هذا الخطر - الصهيوني - الذي كانوا ينبّهون إليه، بل وجدنا أشرف وأنصع صفحات الفكر العربي والغربي بعامة" (المصدر نفسه، ص 37 - 39).

وقد أشيع يومها، ومن دون استناد إلى واقع المجلة نفسها، أن الهدف من إصدارها هو عدم تناول المسألة الفلسطينية بالعرض أو الدرس والتحليل!!! وقيل أيضاً، إن من أهم أهداف آل هراري اليهود هو العمل على التقارب بين يهود مصر وأبناء الديانات الأخرى من سكان مصر - (وهو في أي حال ليس هدفاً صهيونياً بالتأكيد، ولا يصبّ أبداً في مصلحة الصهيونية العالمية، فهذه المنظمة تعمل على عزل اليهود في هذا البلد أو ذاك، في "غيتوات" منغلقة تمهيداً لهجرتهم إلى إسرائيل) - ومع هذا، فإن هذا النوع من التقريب لم يكن من أهداف المجلة، وليس من طبيعتها ولا من وظائفها... وقيل كذلك: إن الهدف هو الترويج للأدب الغربي واليهودي منه، على حساب الأدب العربي قديمه وحديثه!!

لكن برنامج المجلة، الذي نُشر في افتتاح العدد الأول منها (تشرين الأول/أكتوبر 1945) يُلجّ - أساساً - على الاهتمام بالأدب العربي قديمه وحديثه، إذ ورد فيه: "... فلكل أدب حيّ مقومان أساسيان، يكفل أحدهما له الثبات والاستقرار، ويكفل ثانيهما له النمو والتطور والارتقاء... فهذه المجلة ستحرص أشد الحرص على هذين المقومين للأدب العربي فتعنى بتقديم هذا الأدب تدرس تاريخه وتكشف أسراره وتحيي آثاره، وتعنى بالأدب الحديث الذي ينتجه الممتازون من كتّاب الشرق العربي تذيبه وتدرسه وتنقده وتشجعه وتجعله غذاء لعقول العرب وقلوبهم وأذواقهم، وتهيئة لعقول غير العرب من أبناء الأمم الأخرى المتحضرة بحيث يمكن أن ينقل إلى اللغات الأوروبية المختلفة".

أبعد من هذا، فإن طه حسين، كاتب هذا البرنامج، يضيء الجانب الآخر من هذا التوجّه الحضاري، فيتابع قائلاً: "... ولعلّ هذه المجلة نفسها أن تنقل مختارات من هذا الأدب العربي إلى اللغات الأوروبية وتذيعها في الشرق والغرب بين حين وحين. وتعنى مع هذا كله بالأداب الأجنبية، تعرّفها إلى القراء العرب بالدرس والنقد أو التحليل، وتنقل إليهم منها أطرافاً صالحة ترضون أن يجدوا فيها النفع والمتاع... فالمجلة، بهذا، ستكون صلة ثقافية بين الشعوب العربية، أولاً، وبين هذه الشعوب وأمم الغرب، ثانياً. ويؤكد طه حسين أيضاً، أن هذه المجلة، بالإضافة إلى تلك المواصفات والأهداف، "لا تنحاز إلى طائفة، ولا تتعصب لمذهب، ولا تقيّد نفسها إلاّ بحقوق مصر والأمم العربية في الكرامة والعزّة والحياة الصالحة التي لا يشوبها نقص ولا هوان" (طه حسين، مجلة "الكاتب المصري"، العدد الأول، تشرين الأول/أكتوبر 1945، ص 1).

واستطاعت "الكاتب المصري"، بأعدادها الـ 32 (الصادرة بين تشرين الأول/أكتوبر 1945 وأيار/مايو 1948)، أن تفي، بجدارة، بمعظم هذه الوعود، سواء أكان ذلك على الصعيد القومي العربي، والاهتمام الجدي والراقي بالأدب العربي قديمه وحديثه، نشرًا ونقدًا وتقييمًا للجديد منه، ودرسًا للقديم وتعريفًا به، أم على الصعيد الثقافي في الساحة العالمية، ترجمة وعرضًا ونقدًا وتعريفًا بجديده.

* * *

وللدخول في الموضوع الأساسي لهذا العرض التوثيقي التحليلي، لا بد من قراءة متأنية للأبواب الثابتة في المجلة، وللمقالات والدراسات السياسية التي نُشرت في الأعداد كلها، وخصوصاً تلك التي كانت ضمن بابي "دراسات سياسية" و"شهرية السياسة الدولية"... ذلك بأن حقيقة موقف طه حسين ومجلته، من القضية الفلسطينية، تكمن هنا، بالتحديد.

وهذه المادة، المنشورة على مدى أعداد المجلة حتى عددها الأخير (أيار/مايو 1948)، تسمح لنا بعدم الموافقة على استنتاج نرى أنه كان متسرّعاً، وهو للصديق العزيز والناقد الكبير رجاء النقاش، في مقالته الطويلة والتميّزة التي مر ذكرها، والتي دافع فيها عن مواقف عديدة لطه حسين، فردّ عنه التهم المفبركة، على اختلافها، مفنداً إياها بدقة وبزاهة الوطني المصري العربي المستنير. لكن الصديق رجاء النقاش، في محاولته الرد على متهمي طه حسين بأنه تولى رئاسة تحرير مجلة "الكاتب المصري" في سياق مشروع خبيث تضمه أسرة هراري اليهودية، ويؤدي إلى خدمة الصهيونية ومشروعها الاغتصابي لإقامة دولة إسرائيل فوق أرض فلسطين... وبعد دفاعه النير عن مختلف توجهات طه حسين في هذه المجلة، يصل إلى استنتاج غريب لا نوافق عليه، ولعله هو نفسه لن يوافق عليه بعد قراءة متأنية لعدد من المقالات السياسية في المجلة نفسها، لباحثين مرموقين ولطه حسين نفسه، تناولوا فيها قضية فلسطين بالذات.

وما تسرّع به رجاء النقاش جاء في الصيغة التالية: "... ظهرت مجلة (الكاتب المصري) في السنوات الملتهبة التي تلت الحرب العالمية الثانية، وكان هناك مشكلتان أساسيتان تواجهان الوطن العربي، وهما مشكلة الاستعمار ومشكلة اليهود الذين كانوا قد بدأوا عملية تصعيد العنف في فلسطين تمهيداً لإقامة دولتهم، وقد انصرفت المجلة عن معالجة هاتين المشكلتين، وكان انصرافها كاملاً بالنسبة لقضية فلسطين، حيث إن المجلة لم تنشر كلمة عن هذه القضية على الإطلاق."*

فيألي أي حد يصح هذا الاستنتاج المتسرّع، مقارنة بالوقائع الوثائقية نفسها، أي المقالات والدراسات المنشورة في المجلة، والمتعلقة بالقضية الفلسطينية بالذات؟

لعلّي أقول إن جزم الأمر بهذه الطريقة غير دقيق، وقد أدى به إلى إصدار حكم غير صحيح... فالمجلة نشرت أكثر كثيراً من تلك الكلمة الواحدة المطلوبة!.. لقد نشرت العديد من المقالات والدراسات التي تناقش القضية الفلسطينية - بأساليب متعددة - ومن وجهة نظر العدالة دائماً، فهي مع عرب فلسطين، وضد هجرة اليهود إليها، وضد التقسيم، كما جهدت في تبيان خطر قرار التقسيم وإقامة دولة إسرائيل، على العالم العربي كله.

وربما أميل إلى القول، بل إلى التأكيد، أن الصديق رجاء لم يتح له أن يقرأ - في أعداد "الكاتب المصري" - تلك المقالات التي تناولت القضية الفلسطينية، والتي نشرتها المجلة على مدى سنوات صدورها... أكان ذلك في متنها، أم في الأبواب السياسية، وخصوصاً بابي "دراسات سياسية" أو "شهرية السياسة الدولية"، فهو لو كان قرأها، لقال - بالتأكيد - غير هذا القول، ولكان أكمل دفاعه النير والتميّز عن طه حسين في هذه القضية أيضاً، متسلحاً بمادة وثائقية دامغة.

وقبل الدخول في صلب الموضوع، وفي جوهر المواقف التي أعلنتها المقالات/الوثائق التي نشرتها "الكاتب المصري"، أحب أن ألفت النظر، هنا، إلى ما جاء في الطلب الذي قدمه طه حسين، إلى وزارة الداخلية المصرية، في 14 تموز/يوليو 1945، للحصول على رخصة إصدار المجلة... فقد نص هذا الطلب على تعهد بـ "أن المجلة سوف تُعنى بالعلم والفن والأدب، ولا تعرض للشؤون السياسية الحزبية بحال من الأحوال.. وهي لن تُعنى إلا بشؤون الأدب والعلم والفن من الناحية الخالصة" (علي شلش، مصدر سبق ذكره، ص 29).

ومع هذا، وعلى الرغم من هذا التعهد الصريح بعدم التعرض للشؤون السياسية، فإن "الكاتب المصري" تناولت شؤون السياسة العربية والدولية بوضوح، وأشارت بهدوء، لكن بحزم، وبأشكال مختلفة من الكتابة، إلى قضية فلسطين، ومؤامرة التقسيم، وخطر قيام دولة إسرائيل على سائر البلدان العربية، وضرورة التصدي لهذا الخطر.

لسنا هنا في صد التكهّن، أو البحث والتفتيش في النيات المضمرة لأسرة هراري اليهودية، ولا أن نبرئهم من أي تخطيط مستقبلي لاستغلال المجلة لمصلحة الصهيونية، أو نوحى بغفلة طه حسين عن نياتهم، وتنفّص مدى استجابته لما قيل عن أن المجلة صدرت لأجله! وإنما نود القول إن المجلة لم تنشر أي جملة أو إشارة، طوال فترة صدورها، لمصلحة الصهيونية أو لما يخدم أهدافها... بل العكس هو الصحيح.

ثم: ليس صحيحاً، أبداً، ذلك القول الذي أشاعه خصوم طه حسين من أن المجلة لن تناصر قضية الشعب العربي الفلسطيني. (والغريب جداً ما قيل عن أن المجلة إنما صدرت لمجرد أن تصمت، فلا تقول شيئاً عن قضية فلسطين!!)... وليس من المعقول - ولا في مطلق الأحوال - أن يمول ممولون من اليهود مجلة شهرية كبرى، مهمة ورفيعة المستوى، فكرياً وثقافياً وسياسياً، لمجرد أن تصمت!!... فالأسهل، بل الأوفر لهم، كي يصلوا إلى هدفهم الغريب هذا، ألا يمولوا إصدار المجلة أصلاً.

لكن هذه المجلة - التي صدرت وقرأنا مقالاتها السياسية كلها - لم تصمت، ولم يكن من طبع طه حسين أن يصمت. ولعل عدم صمتها، وعدم استجابة طه حسين وسائر محرري المجلة لما كان يضره آل هراري - كما قيل - هو الذي أدى إلى توقفها عن الصدور، لكن بعد ثلاثة أعوام من إصدارها... وهذا واحد فقط من احتمالات أسباب إقفال المجلة كما سنرى... وسأعرض فيما يلي، براهين هذا كله، وذلك بالعودة إلى المجلدات الثمانية التي صدرت من المجلة، ما بين تشرين الأول/أكتوبر 1945 وأيار/مايو 1948، ففيها الخبر اليقين.

لكن قبل الوصول إلى التفصيل الموثق لهذا الخبر اليقين، أحب أن أورد هنا قولاً قديماً مهماً لطه حسين في شأن قضية فلسطين، قاله للشيخ مصطفى عبد الرازق، في سنة 1945، وروى خبره الكاتب والسياسي محمد حسن الزيات، صهر طه حسين، وأورده في كتابه الشائق "ما بعد الأيام" (الصادر عن دار الهلال، 1986). فقد كان طه حسين يخبر الشيخ عبد الرازق عن اعتزامه إصدار مجلة "الكاتب المصري"، ويلخص له تصوّره للمجلة والاستعدادات القائمة لإصدارها... وكانت الحرب العالمية الثانية انتهت، وهيئة الأمم المتحدة تشكلت، فعلق طه حسين على هذا الحدث بالقول: "ماذا سيكون مصير هذه الأمم المتحدة؟.. هل يكون مصير عصبة الأمم؟.. ما مصيرنا نحن الدول الصغيرة؟.. ما مصير العرب؟.. بالأمس جاءني محرر جريدة (صور العالم) الفرنسية (Image du Monde)، سألني عن الحرب، فقلت له: الحرب انتهت بالقنبلة الذرية... ولكنها تركت قنبلة زمنية هي: فلسطين!" (المصدر نفسه، ص 132). كان هذا قبل أشهر من صدور "الكاتب المصري"، وقبل عامين من إشعال الصهيونية العالمية والقوى الاستعمارية حربها للاستيلاء على فلسطين... وبالفعل، فإن توقع طه كان واقعياً وتنبؤياً، إذ تبين أن قضية فلسطين هي قنبلة موقوتة وخطرة، سرعان ما أخذت تتفجر، بعد زمن قصير من هذا الحديث، واندلعت نيرانها منذ سنة 1947، ولا تزال مندلعة حتى يومنا هذا.

ثانياً: ماذا قال طه حسين

وماذا جاء في "الكاتب المصري" نفسها؟

ماذا عن الخبر اليقين بشأن موقف "الكاتب المصري" من الصهيونية ومن القضية الفلسطينية؟ وماذا كتب طه حسين نفسه في المجلة في هذا الصدد؟.. وماذا كتب العديد من كتّاب المجلة ومحرري أبوابها الثابتة، وخصوصاً بابي "دراسات سياسية" و"شهرية السياسة الدولية"؟

فلنحتكم - إذاً - إلى صفحات المجلة نفسها، فهي أصدق إنباء من سيوف المنتقدين جميعهم، ومن أقلام المدافعين أيضاً، فهنا، تحديداً، الخبر اليقين:

● **كانون الثاني/يناير 1946 (العدد الرابع):** دراسة كتبها الباحث والكاتب السياسي سليمان حزين، وهو من كتّاب المجلة الأساسيين والدائمين، بعنوان: "الجامعة العربية ومقوماتها الجغرافية والتاريخية"، وفيها ينظر إلى بلاد هذه الجامعة العربية الجديدة، من الوجهة الجغرافية والتاريخية خاصة، ومن وجهة مصلحة مصر والعالم العربي عامة، ويوضح ضرورة أن تكون فلسطين دولة عربية مستقلة، ويربط هذه الضرورة بضرورة اتصال مصر بالبلاد العربية: "... فلا يمكن أن يتم الاتصال البرّي بيننا وبين بقية بلدان الشرق إلا عن طريق أرض فلسطين. وإذن، فإن فلسطين، إن هي بقيت خارج نطاق الجامعة العربية الجديدة، تستطيع أن تكون حاجزاً حقيقياً بين مصر وبقية بلدان الجامعة."

فالتحذير هنا واضح، وكذلك الخطر القادم.

أكثر من هذا: "... فإن لفلسطين [كما جاء في الدراسة] قيمة أخرى بالنسبة للعلاقات بين مصر وجاراتها العربية، فهي تُعتبر قاعدة عسكرية من الدرجة الأولى، وتستطيع أية سلطة تسيطر عليها أن تهدد كيان الشرق العربي كله.. وإذا لم يضمن العرب، أعضاء الجامعة الجديدة، أن تبقى فلسطين للعرب، وإذا لم يضمنوا أن تبقى أرضها في أيدي صديقة حتى يتم إنشاء الدولة الفلسطينية العربية، فإنهم لا يضمنون شيئاً بالنسبة لكيان الجامعة كلها، من الناحية العسكرية" (المجلد الأول، ص 534 - 535).

هذا القول الواضح، الحاسم، والتحذيري، وخصوصاً من الخطر الصهيوني المقبل، قاله كاتب أساسي من كتّاب المجلة في مطلع سنة 1946، أي بعد ثلاثة أشهر من صدور المجلة، وقبل عام من صدور قرار التقسيم العدواني، في هيئة الأمم المتحدة، وقبل عامين من الاحتلال الصهيوني الاغتصابي للقسم الأكبر من أرض فلسطين، وإقامة دولة إسرائيل التي ستشكل "قاعدة عسكرية من الدرجة الأولى، وتهدد كيان الشرق كله". جاء هذا في مجلة "الكاتب المصري" بالذات، وبالحرف الواحد والنص الواضح، الموضوعي، والحاسم.

فمن أين جاء ذلك القول المتسرع، أن مجلة "الكاتب المصري" لم تنشر كلمة واحدة عن هذه القضية على الإطلاق؟ وكيف تقول آخرون أن المجلة إنما صدرت لتخدم الصهيونية، أو مجرد أن تصمت؟ إن الواقع يبيّن أن "الكاتب المصري" نشرت عن القضية الفلسطينية أكثر كثيراً من كلمة واحدة، وفي أكثر من عدد على التوالي، وأنها لم تصمت طوال أعادها، وصولاً إلى العدد الأخير، في ذلك التاريخ اللافت: أيار/مايو 1948. فلنتابع القراءة المتأنية، في النصوص التي تحمل بنفسها الخبر اليقين:

● **نيسان/أبريل 1946 (العدد السابع):** دراسة كتبها باحث آخر من الكتّاب الدائمين في "الكاتب المصري"، هو محمد عوض محمد، تبحث في تاريخ "الانتداب والوصاية والاستعمار"، وقد تضمّنت فقرة بشأن الانتداب البريطاني على فلسطين العربية، جاء فيها: "إن بريطانيا خلقت مشكلة فلسطين خلقاً، عن عمد وعن سبق إصرار، لكي تثبت أقدامها في هذا الركن الخطير من أركان العالم. فقد أدركت السياسة البريطانية أن لفلسطين في الموقع الحربي، والأهمية الروحية لجميع الشعوب، ما يجعل السيطرة عليها أمراً لازماً لدولة مثل بريطانيا. ورأى الساسة البريطانيون أن ميثاق عصبة الأمم ينص صراحة على أن سكان فلسطين يؤلفون أمة ذات كيان مستقل، ولا تحتاج إلا لقليل من الإرشاد والمساعدة لكي تنال الاستقلال التام.. فلم يكن بد من إدخال عنصر جديد في السكان، بطريقة توغر صدور العرب، وبذلك يسود البلاد النزاع والشقاق، وتشتد الحاجة إلى حاكم محايد لكي يفصل بين المختصمين... وبذلك تضمن بريطانيا بقاءها في فلسطين إلى أجل غير مسمى" (المجلد الثاني، ص 410 - 411). وقد تبين أن ما يهّم بريطانيا فعلاً ليس تثبيت أقدامها فحسب، بل أساساً، منع قيام دولة عربية ذات كيان مستقل، وهذا خاصة، هو الهدف الآتي من "وعد بلفور" البريطاني بإقامة دولة يهودية في أرض فلسطين... فالإعداد الفعلي الحثيث، إذاً، لإقامة دولة إسرائيل هذه، هو الذي منع، منذ البداية، إقامة الدولة العربية المستقلة المنشودة.

● **أيار/مايو 1946 (العدد الثامن):** مقالة كتبها سليمان حزين، في باب "بين الحرب والجغرافيا" بعنوان: "الشرق الأوسط والحرب"، تضمنت رؤية بالنسبة إلى هذه المنطقة من وجهة نظر استراتيجية جغرافية، ووردت فيها جملة لها دلالتها، بما تحمله من إشارة إلى خطر مستقبلي على المنطقة، وهي: "... وقد جرّبت بريطانيا بصفة خاصة أن تجمع بين المتناقضات في سياستها مع مصر إذ منحتها الاستقلال في ظل الاحتلال... ومع فلسطين إذ جعلتها للعرب وللصهيونيين في آن واحد!" (المجلد الثاني، ص 595).

● **حزيران/يونيو 1946 (العدد التاسع):** دراسة بعنوان: "بريطانيا وحوض البحر المتوسط" كتبها محمد رفعت - وهو أيضاً من أسرة تحرير المجلة - وقد وردت فيها فقرة لافتة تلقي الضوء على ما فعلته بريطانيا ضد عروبة فلسطين، وما كان عليها أن تفعله لفلسطين، بحسب وعودها القديمة للعرب، وجاء فيها: "... أمّا فيما عدا ذلك فلم

تجنّ إنكلترا من فلسطين سوى الحوادث الدامية والثورات المتعاقبة وقيام مشكلة قومية تُعدّ من أعقد وأشدّ ما واجهه العالم من مشكلات الشرق الأوسط... ولو قد برّ الحلفاء بعودهم للعرب في أثناء الحرب العالمية الأولى فأقاموا اتحاداً عربياً مستقلاً يجمع بين فلسطين وغيرها من الدول العربية المجاورة، لما تفاقم خطر مشكلة الصهيونيين إلى الحد الذي نراه الآن، لأن اليهود، الذين عاشوا مع العرب جيراناً وأصدقاء قروناً طويلة، كانوا يستطيعون أن يتفاهموا مع العرب رأساً على شروط إقامتهم... (المجلد الثالث، ص 18).

● **العدد نفسه:** موجز لتقرير "لجنة التحقيق الأميركية - البريطانية" المرفوع إلى مجلس الأمن بصدد فلسطين، جاء فيه: "إن التقرير لم يرض أحداً، فهو لم يحقق للصهيونية حلم الدولة اليهودية من ناحية - (كان هذا التقرير قبل صدور قرار تقسيم فلسطين) - وهو، من ناحية ثانية، لم يدع مجالاً لأمل عند العرب، إذ أوصى بفتح باب الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وبرفع القيود عن نظام بيع الأراضي لليهود، وهما الوسيلتان اللتان يألم منهما العرب، ويعتبرونهما أداة استيلاء الصهيونية على بلادهم وإخراجهم من ديارهم." ثم تضيف المجلة على تعليقها هذا بالقول: "وقد كان لإذاعة ذلك التقرير أسوأ الأثر في البلاد العربية، فقامت حكوماتها وهيئاتها تحتج وتضرب إعلاناً عن استنكارها ورفضها" (المجلد الثالث، ص 148).

وهكذا، حتى في إيراد هذا الموجز عن تقرير لجنة التحقيق بصدد فلسطين، تكتب المجلة تعليقاً استنكارياً، تدين فيه توجهات هذا التقرير المعادي للعرب والمناصر لإسرائيل.

● **العدد نفسه أيضاً:** مقالة افتتاحية شائقة ومؤلمة وغاضبة، كتبها طه حسين نفسه بعنوان: "من القاهرة إلى بيروت"، يصف فيها رحلة في سفينة فرنسية بين المدينتين... وإذ تصل السفينة الفرنسية إلى ميناء حيفا، تتوقف فجأة هناك، من دون معرفة مسبقة من ركاب السفينة!.. وتبين أنها تفرغ من جوفها "نحو ألف من المهاجرين اليهود الذين تظهر عليهم معالم الفقر: عائلات بأطفالها ونسائها ورجالها من المهاجرين ينزلون إلى أرض ليست لهم، بحراسة جنود المنتدبين البريطانيين." وهنا يكتب طه حسين كلاماً يجب أن يقرأ بكثير من التمعّن، فقد يجد فيه المنتقدون والمتقولون ملامح واضحة من موقف طه حسين نفسه من "مسألة الوطن القومي لليهود".. وكذلك موقفه الأكثر وضوحاً من المؤامرة الصهيونية الاستعمارية ضد عرب فلسطين والوطن الفلسطيني، فيقول:

"وقد أقبل هؤلاء المهاجرون جميعاً يقودهم رسل الحلفاء إلى فلسطين ليجدوا فيها أمناً بعد خوف وراحة بعد عناء. ولكن أهل فلسطين لم يستشاروا ولم يستأمرؤا في إيواء هؤلاء البائسين، ولكن في الأرض أوطاناً كثيرة أقدر على إيوائهم من فلسطين.. وهؤلاء الجنود البريطانيون قد ملأوا ثغر حيفا بالعدد والعدّة والبأس والقوة ليحموا هبوط هؤلاء البائسين إلى هذه الأرض التي تكره على إيوائهم إكراهاً. وهؤلاء البائسون يهبطون من السفينة في نظام، ترتفع أصواتهم البائسة المتهالكة بغناء لست أدري أكان يصور الفرح والمرح وانتصار الفاتحين، أم كان يصور الحزن والبؤس وانكسار المطرودين، أم كان يصور هذا كله في وقت واحد، لست أدري!.. ولكني أعلم أنه كان يملأ النفوس غيظاً وحنقاً ورحمة ورتاء، حتى عمال السفينة أنفسهم كانوا ينظرون إلى هذا كله ساخطين عليه ضيقين به مبغضين له، يجهرون بالشكوى من تحكّم المنتصرين الذين يسخرون سفينة فرنسية لشيء يملأ صدور العرب حرجاً وضيغنة دون أن يستطيعوا إباء واقتناعاً. أليست فرنسا مضطرة أن تصانع المنتصرين من البريطانيين والأميركيين لتستطيع أن تعيش؟" (المجلد الثالث، ص 10).

ألا يرى المتقولون في كلمات طه حسين الغاضبة هذه موقفاً صريحاً معادياً للصهيونية، ومستنكراً لتهجير اليهود هؤلاء إلى بلاد لم يستشر أهلها في إيوائهم، وصرخة عالية بأن: "في الأرض أوطاناً كثيرة أقدر على إيوائهم من فلسطين"؟!

كلمات طه حسين هذه.. ألا تشكل أكثر بكثير جداً من كلمة واحدة سبق أن أنكر بعض النقاد وجودها في مجلدات المجلة كلها فيما يتعلق بقضية فلسطين... وأيضاً فإن كلماته هذه - إضافة إلى ما أوردناه أعلاه وما سنورده لاحقاً - لا يجمعها، أو يحشرها، أو يربطها أي شيء منطقي عقلائي وحقيقي بتلك الخرافة التي اخترعها أولئك النقاد، والقائلة: إن مجلة "الكاتب المصري" إنما صدرت لمجرد أن... تصمت، ولا تقول شيئاً في قضية فلسطين!!

لا طه حسين نفسه صمت، ولا مجلته امتنعت من القول!

ويقدم الباحث التونسي رشيد القرقوري، في كتابه: "طه حسين مفكراً سياسياً" (تونس: دار المعارف، 2000)، عرضاً لهذه الفقرات نفسها من مقالة حسين، ولموقفه من قضية فلسطين ومن الهجرة اليهودية وأدوار المستعمرين، ويخلص إلى الاستنتاج التالي:

"... وقد كتب طه حسين هذا الكلام على صفحات (الكاتب المصري)، دون خشية من ممولّيها اليهود، فهو يرفض صراحة تجميع اليهود في فلسطين، أو إقامة دولة لهم هناك، لذلك نعتبر طه حسين ذا شجاعة وجرأة عندما خاطب اليهود برفضه لوجودهم في فلسطين، من خلال مجلة يمولّها يهود مصريون. كما يمكن اعتباره، ومن هذه الكلمات القليلة عن القضية الفلسطينية، من المفكرين المصريين الذين لم يقصروا اهتمامهم على قضية تحرّر مصر من بقايا الاستعمار البريطاني، واهتموا بقضايا تحرّر الشعوب العربية" (المصدر نفسه، ص 198 – 199).

إن أولئك النقدة يتعامون عن وجود فارق أساسي بين اليهودية كدين لا يعاديه القرآن ولا الإسلام، وبين المنظمات الصهيونية وأهدافها الاستعمارية الاستيطانية المناقضة لأي دين، والتي تستغله لتجنّد قوافل المهاجرين اليهود لمصلحة الرأسمال الصهيوني والإمبريالية العالمية.

ويبدو أن البعض من جماعة "الإخوان المسلمين" وغيرهم من المتعصّبين ضيقي الأفق، يأخذون على مقالة طه حسين أنها تلمّح إلى كونه يتعاطف، هنا، مع "بائسين من اليهود"... ونسي هؤلاء الإسلامويون أنه، وهو الإنساني والوطني والمسلم، كان يرى أن هؤلاء البائسين من فقراء اليهود، هم أيضاً ضحايا الأهداف الاستعمارية للصهيونية العالمية، وقد حشرتهم منظماتها في الجوف السفلي للسفينة الفرنسية، وقذفت بهم إلى أرض تكره إيوائهم، ووسط شعب لا يقبل بوجودهم، وبلد ليست لهم... فالمنظمة الصهيونية هذه عبأت أذهان هؤلاء اليهود وأرواحهم بالخرافة والأساطير العتيقة، وصوّرت لهم أنهم ذاهبون إلى "أرض الميعاد" التي وعدهم الله بها منذ آلاف السنين!!.. والحقيقة الحقيقية هي أن لا شيء يشكل "أرض ميعاد" لأحد، وإنما هي تمهيدات لتحقيق "وعد بلفور" الاستعماري البريطاني الذي وعدهم هو بها – وليس الله – في تصريح بريطاني رسمي في سنة 1917، قبل أعوام قليلة من مقالة طه حسين هذه، الغاضبة والإنسانية والمدافعة عن حق أهل هذه الأرض العربية في رفض إيواء هؤلاء الغرباء القادمين إليها في سياق عملية تآمرية كبرى لاحتلالها واغتصابها من أصحابها هؤلاء.

ولا بدّ من التأكيد هنا، أن الفارق واضح وحاسم، في عقل طه حسين المسلم، بين الدين اليهودي، كواحد من الأديان السماوية الثلاثة، وبين التنظيم الصهيوني العالمي الاستعماري العدواني والمغتصب... فليحترم هؤلاء المتقولون أحكام القرآن نفسه فيما يختص بهذه الأديان، وليناقشوا قضية فلسطين من حيث هي قضية فلسطين فعلاً، ومن جهة حق أهلها فيها، ومجاهبتهم لممهّدات اغتصابها، وذلك على الصعيد السياسي الاستعماري الراهن، الذي هو الميدان الحقيقي للصراع.. فلا يدورون، هم أيضاً، في فلك الخرافة نفسها، وأساطير الأولين!

والغريب – غير المستغرب – أنهم مستمرّون في محاكمة طه حسين وإدانته، منذ ذلك الزمان، وطوال ستين عاماً، وصولاً إلى يومنا هذا، من دون أن يكلفوا أنفسهم، ولا عقولهم، قراءة مقالات مجلة "الكاتب المصري" نفسها، المتعلقة بقضية فلسطين... ويسينون – عمداً واستغياً للقراء – قراءة مقالة طه حسين الغاضبة بالذات..

● **تشرين الأول/أكتوبر 1946 (العدد 13):** في هذا العدد مقالة للباحث المصري محمد سعيد العريان يعرض فيها كتاب الباحث اللبناني نجيب صدقة، الذي صدر في تلك الفترة، بعنوان "قضية فلسطين"، وقد نُشر هذا العرض في الوقت الذي كانت تعقد في لندن دورة للأمم المتحدة للبحث في مشكلة فلسطين. يقول العريان: "هذا كتاب بالعربية يفصل مراحل هذه المشكلة منذ سوّلت لبريطانيا مطامعها أنها تستطيع أن تعقد صفقتين على سلعة لا تملكها!.. ويتساءل: هل وضع المؤلف كتابه في مناسبة عقد الدورة ليكون لوناً من ألوان الدفاع أمام المحكمة التي توشك أن تنفضّ ونصف أعضائها خصوم للنصف الآخر؟.. أم أُلّفه ليكون مقدمة كبيرة للجهد الكبير الذي يوشك أن تزحف جحافلها لاستخلاص الحق من مغتصبه؟... إنه لذلك، ولذلك، فليت كل صهيوني في إنكلترا وفي أميركا يتاح له أن يقرأه ليعرف بأي باطل يستمسك.. وليت كل عربي في المشرق والمغرب يقرأه كذلك ليعرف عن أي حق يدافع" (المجلد الرابع، ص 186).

لا بد من الإشارة، هنا إلى أن كتاب "قضية فلسطين" هو من أهم الكتب الصادرة في تلك الفترة عن هذه القضية من حيث تاريخها وتحولاتها، والمستندات الوثائقية التي تؤكد تآمر الدول الاستعمارية الكبرى (بريطانيا وأميركا خاصة) على شعب فلسطين العربي، تمهيداً لإخضاع مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة للموافقة على قرار التقسيم الجائر، واستباحة حقوق شعب كامل لمصلحة الأهداف الاستعمارية والاغتصابية التي تندفع نحوها الصهيونية العالمية.

لهذا، فإن إشادة مجلة "الكاتب المصري" بهذا الكتاب، وتبيان أهميته التوثيقية والسياسية، يتضمنان شكلاً من أشكال التبني للموقف المعبر عنه، لا مجرد تنويه عابر.

● ... في السياق نفسه، كانت مجلة "الكاتب المصري" تعتمد إلى عرض آراء مجلات أخرى، بما ينسجم مع موقفها من مختلف القضايا، وخصوصاً قضية فلسطين، فأفردت باباً خاصاً في أعدادها بعنوان: "من مجلات الشرق"، كان يتم فيه اختيار فقرات من مقالات في الأدب والثقافة والفكر، وفي السياسة أيضاً. وقد رأى محرر "الكاتب المصري" أن يختار هذه المرة (عدد تشرين الأول/أكتوبر 1946) فقرة لافتة للنظر من مجلة "الحديث" السورية عنوانها: "كفر بعد إيمان"، تتناول خيبة أمل العرب جراء وعود الحلفاء لهم بتحقيق الاستقلال والوحدة، بعد الحرب العالمية الأولى، وكيف اتجهت آمال بعض العرب إلى أميركا، وهنا أيضاً، خابت الوعود والعهود... ومما جاء في "الكاتب المصري"، أن محرر مجلة "الحديث" تطرق إلى الموقف السلبي لأميركا وللرئيس الأميركي ترومان من قضية العرب، والإيجابي بالنسبة إلى مطامع الصهيونية في فلسطين، "وكيف انقلبت أميركا، تحت ضغط الصهيونية، إلى جلد مخيف بعد أن كانت، في نظر العرب، رسول السلام والخير للناس" (المجلد الرابع، ص 194).. وكما هي الحال في نقل مختلف الفقرات عن مختلف المجلات العربية، فإن نقل "الكاتب المصري" لهذا القول عن مجلة "الحديث" يعتبر نوعاً من التبني أكثر منه نقلاً حيادياً لرأي آخر.

● **آذار/مارس 1947 (العدد 18):** في هذا العدد تلخيص للكاتب السياسي في المجلة، محمود عزمي، يتضمن رأياً وموقفاً من وقائع مؤتمر دعت الحكومة الإنكليزية إلى عقده في لندن، بهدف "بت" حلول بشأن القضية الفلسطينية... وجاء في هذا التلخيص الذي نشر بعنوان "قضية فلسطين": "إن المؤتمر انتهى إلى الإخفاق، إن رفض العرب المقترحات البريطانية، وهي في نظرهم تقضي بتهية أسباب التكاثر اليهودي في فلسطين، وبتشجيع إنشاء الدولة اليهودية بحيث تبتلع فلسطين كلها على الأيام..." ووصفت بريطانيا المشكلة الفلسطينية بأنها لغزاً.. فرد محرر "الكاتب المصري" بالقول: "... وقد نسبت بريطانيا أنها هي خالقة هذا اللغز، بما سبق أن وزعته من وعود متناقضة للعرب وللإهود: وعد بالاستقلال العربي الشامل قطعته للحسين بن علي... ووعد بلفور (بإنشاء دولة إسرائيل) للصهيونية العالمية" (المجلد الخامس، ص 366 - 367).

● **العدد نفسه:** كتب سكرتير تحرير "الكاتب المصري" حسن محمود مقالة بعنوان: "من فلسطين إلى السودان"، وهي قراءة في كتاب "جولة موظف بريطاني"، هو السير ستوارت سيمز الذي كان حاكماً بريطانياً على السودان، وكلف مهمات في فلسطين، ثم وضع كتاباً وصف فيه انطباعاته عندما كان حاكماً في إحدى مقاطعات فلسطين خلال الفترة 1920 - 1928. وقد كشف هذا الحاكم البريطاني في انطباعاته هذه الدور المنتظم لبريطانيا في تسهيل توطين المهاجرين اليهود على حساب السكان الأصليين العرب... وهذا الدور هو الذي أسس بالتدرج لتكاثر اليهود في فلسطين بحيث يتيح لهم دورهم "القانوني" المجال أمام فرض "حق التوطن" في فلسطين!.. ويسمح لهم دورهم القتالي الحربي اللاحق، بالاستيلاء على فلسطين عندما يحين الوقت (المجلد الخامس، ص 278).

● **حزيران/يونيو 1947 (العدد 21):** في باب "شهرية السياسة الدولية"، تلخيص لوقائع من الصراع الأميركي بشأن وراثة بريطانيا في الشرق العربي، والحلول محلها في فلسطين... ففي دورة خاصة للأمم المتحدة مخصصة للبحث في قضية فلسطين، نرى مدى "حرج" بريطانيا لفشلها في التوصل إلى "حل" ما لقضية البلد الذي انتدبت عليه! ويقول محرر "الكاتب المصري": "... وإنما يرجع هذا الحرج (البريطاني) إلى حملة الإرهاب التي تشنها الهيئات المسلحة السرية من الجانب اليهودي، وإلى جملة المطالبة باستقلال الإقليم من الجانب العربي، ثم إلى الدعوة التي أعلنها الرئيس الأميركي ترومان مطالباً بإدخال مئة ألف مهاجر يهودي جديد إلى فلسطين، وإلى التأييد الذي تلقاه في أميركا حركة المناداة بجعل فلسطين كلها يهودية..." (المجلد السادس، ص 142).

● **تشرين الثاني/نوفمبر 1947 (العدد 26):** تنقل "الكاتب المصري" عن مجلة "الطريق" اللبنانية (أيلول/سبتمبر 1947) فقرات من مقالة للقائد الشيوعي فرج الله الحلو بعنوان "الثقافة والسياسة" كتبها بمناسبة اقتراح عرض في المؤتمر الثقافي العربي، الذي عقد في لبنان، وفحواه أن يرسل المؤتمر برقية إلى هيئة الأمم المتحدة أو إلى مجلس الأمن بتأييد قضيتي مصر وفلسطين، فعارض الاقتراح بعض مندوبي لبنان في المؤتمر بحجة أن المؤتمر ثقافي بحت، ولا دخل له في السياسة!.. ويوضح الحلو علاقة الثقافي بالسياسي وتداخلهما، ثم يقول: "إذا كانت غاية المؤتمر العربي حصر الثقافة والتصديق عليها ومنع انتشارها، فالمندوب اللبناني إذاً على حق في رفضه تأييد قضيتي مصر وفلسطين ضد الاستعمار الإنكليزي، أما إذا كانت غاية المؤتمر توسيع السبل لانتشار الثقافة، ورفع مستواها، ومحاربة الأمية والجهل ورفع مكانة الفكر في المجتمعات العربية، فقد كان من واجب الوفد اللبناني كله، إذا كان حقاً يريد تمثيل لبنان المثقف الحقيقي، أن يكون أول من يؤيد مصر وفلسطين والعراق، وجميع الشعوب المستعمرة ضد الاستعمار" (المجلد السابع، ص 319).

● **كانون الثاني/يناير 1948 (العدد 28):** نصل هنا إلى وقت الحسم في مشروع التقسيم، وإقراره أو تعديله، أو الحفاظ عليه في الأمم المتحدة.. ومع هذا الحسم، نصل إلى قراءة متأنية لرأي "الكاتب المصري" وموقفها، فهل تعمد المجلة، هنا، إلى الحسم، أم إلى الغمغمة والتردد؟.. (ولأنها تصدر عن مؤسسة تجارية أصحابها من اليهود المصريين، فقد كان يمكن للغمغمة أن تكون مبررة وكذلك التردد، حتى لو كان رئيس التحرير مصرياً عربياً من قامة طه حسين)... فماذا قالت "الكاتب المصري"، فعلاً، على الرغم من هذا كله، وبمواجهة هذا كله؟

نشرت المجلة في هذا العدد، وضمن الباب الدائم "شهرية السياسة الدولية" مقالة كتبها محمود عزمي، وهو من كتّاب المجلة ومحرريها الدائمين، يورد فيها، تحت عنوان: "قضية فلسطين"، خبر صدور توصية الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين، وأصداء هذا الحدث، فيقول: "أصدرت الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة، توصيتها بتقسيم فلسطين إلى دولتين يهودية وعربية، رغم تحذير مندوبي الدول العربية لديها بسوء مغبة قرار التقسيم، فهبت الجماعات في هذه الدول تعلن الاحتجاج وتطالب حكوماتها بالتدخل وتعرض استعدادها للبذل بالأموال والأرواح في سبيل الاحتفاظ بعروبة فلسطين ووحدها".

وتابع يقول: "... بادرت جامعة الدول العربية إلى عقد مجلس رؤساء حكوماتها كي يعرض للوضع الجديد على ضوء هذا القرار من ناحية، وما بدا من رغبات الناس والجماعات في بلادها من ناحية أخرى، وصدر عن المجلس بيان تناول في إيجاز تطورات المشكلة الفلسطينية منذ تلاققت أغراض الاستعمار وأطماع الصهيونية في إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين إلى أن تنكرت الجمعية العامة لذات المبادئ التي تضمنها ميثاقها"، أي منذ صدور وعد بلفور عام 1917 إلى أن صدرت التوصية بالتقسيم عام 1947. كما سجل البيان: "أن رؤساء الحكومات العربية وممثليها قد قرروا في اجتماعهم بالقاهرة أن التقسيم باطل من أساسه، وقرروا كذلك، عملاً بإرادة شعوبهم، أن يتخذوا من التدابير الحاسمة ما هو كفيل بإحباط مشروع التقسيم الظالم ونصرة حق العرب ومجابهة كل احتمال من الاحتمالات".

وأضاف: "كان لبيان الجامعة هذا صده عند العرب وعند غير العرب. أما عرب فلسطين فمالوا إلى اعتباره فاتراً إذ لم يتضمن ذكراً صريحاً لأنواع العونة التي ينتظرونها من الحكومات العربية، وإن كانوا قد وطنوا أنفسهم على ألا يعتمدوا في جهادهم إلا على أنفسهم هذه، فأعدوا عدتهم على اعتبار أنهم وحدهم في الميدان، فإن جاءتهم من إخوانهم في سائر البلاد العربية معونة فأهلاً وسهلاً ومرحباً، وإن لم تجئهم فهم في طريقهم ماضون وبالنصر مؤمنون" (المجلد السابع، ص 630 - 631).

● **آذار/مارس 1948 (العدد 30):** تابعت مجلة "الكاتب المصري" مجرى الأحداث التي أعقبت قرار التقسيم، لكن ليس من وجهة نظر المحاييد غير المعني، وإنما بحرارة المعني بالأحداث، الذي يؤكد حق الشعوب العربية في رفض قرار التقسيم، والدعوة إلى النضال ضده و ضد المخطط الصهيوني الاستعماري للاستيلاء على فلسطين، وعلى حق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته العربية المستقلة.. ففي باب "شهرية السياسة الدولية" يتابع محمود عزمي، ضمن الفقرة الخاصة بـ "الشرق الأوسط"، عرضه لظواهر الغليان والاحتجاج في العالم العربي ضد القرار الجائر، ويقول: "لا يزال الغليان يعم العالم العربي، فالحرب بين العرب واليهود في فلسطين تشتد يوماً بعد يوم"، كما يشير إلى جهود الرئيس الأميركي ترومان في دعم قرار التقسيم والسير به حتى يتم تنفيذه، ولو بالقوة، وفي الضغط على الدول العربية لمنعها من التدخل العسكري، "... والدعوة إلى تهدئة خواطر العرب الثائرين على قرار التقسيم.. ويعلق عزمي على ضغوط الرئيس الأميركي هذه بالقول: "... ولا شك أن هذه الدول العربية ستقابل مسعى الرئيس الأميركي ترومان بما هو جدير به من الأخذ بالحزم، والرد الحاسم من القول، والتعبير عن حقيقة إحساس العرب بسوء موقف الولايات المتحدة، وبسوء أثره في النفوس" (المجلد الثامن، ص 281).

وتتابع مجلة "الكاتب المصري" التعبير عن رأيها وموقفها من هذه القضية بالذات، بأشكال متعددة وبنبرة أعلى وأوضح وأكثر حسماً:

● **أيار/مايو 1948 (العدد 32، وهو العدد الأخير من المجلة):** في باب "من مجالات الشرق"، تلخيص واع ومقصود، لأحد أعداد مجلة "الدنيا" السورية، خاص بـ "العراق"، يعبر فيه محرر "الكاتب المصري" عن تقويمه لإصدار أعداد خاصة كهذا، تعرّف الشعوب العربية بعضها ببعض، فيقول: "... والحق أن الأمة العربية، في طور نهضتها الاتحادية الحديثة، في أشد الحاجة إلى أن يتعرّف أبنائها بعضهم إلى بعض، وأن يعرف بعضهم عن بعض ما يحقّ معنى الأخوة التي رسخت جذورها منذ أبعاد الآماد". ويخلص المحرر بعد ذلك إلى رأي مهم وحاسم جداً بالنسبة إلى مسألة فلسطين بالذات، وقرار التقسيم الجائر و وعد بلفور الاستعماري، ونستطيع القول إن هذا الرأي

إنما كُتِبَ بصفة كونه رأي مجلة "الكاتب المصري" نفسها، وهو إعلان موقف من القضية عبر ترحيبه الشديد بهذا العدد الخاص من مجلة "الدنيا" السورية.

ونورد هنا هذا الرأي الحاسم بنصه:

"... وماذا كان يعرف القارئ العربي عن فلسطين قبل أن يخرق صماخ أذنيه دوي الانفجارات الصهيونية في العهد الأخير؟ وأين كانت في خياله من مصر ومن شرق الأردن ومن سورية ومن لبنان ومن مطامع الصهيونية؟.. أكاد أقسم أن قارئاً واحداً من كل ألف قارئ - ولعلّي مبالغ في حسن الظن - هو الذي كان يعرف من أحوال ذلك القطر العربي ما يتيح له أن يتتبع أحداثه السياسية بشيء من الفهم. ولو كان جمهور القراء العرب في 2 نوفمبر [تشرين الثاني] سنة 1917 يعلمون عن فلسطين ما يعلم اليوم عنها كل صبي وصبية، ما جرؤ بلفور على أن يلقي تصريحه (وعده) ذاك الذي حكم به بالموت على عشرات الآلاف أو مئات الآلاف من أصحاب هذه البلاد، ومن الوافدين عليها، ولما تطورت الحوادث في تلك البلاد المقدسة هذا التطور الذي ينذر البلاد العربية كلها بشرّ مستطير! (المجلد الثامن، ص 673 - 674).

لقد ورد هذا الكلام الواضح والحاسم، في العدد الأخير من مجلة "الكاتب المصري"، والقضية الفلسطينية في ذروة تأزمها، وقرار الأمم بتقسيم فلسطين في ذروة احتدام تداعياته، والحرب بدأت نيرانها تتأجج فوق أرض فلسطين... إن المجلة بموقفها هذا، إضافة إلى مواقفها السابقة التي نشرت في بقية الأعداد، تعلن أنها مع الشعب الفلسطيني، ضد التآمر الاستعماري، وضد قرار التقسيم، وتحمل إدانته واضحة ضد وعد بلفور الجائر، وفضحاً لمواقف بريطانيا وأميركا الداعمة للزحف الصهيوني ولاغتصاب فلسطين.

أعلنت "الكاتب المصري" مواقفها هذه، بوضوح وطني قومي حاسم، مع أن أصحاب الشركة التي أصدرت المجلة هم من اليهود المصريين.

وماذا يقول طه حسين نفسه عن المجلة وموقفها بمناسبة صدور آخر عدد منها، والتي أوقفها هو، في الموعد الحاسم والضروري لإيقافها؟..

يسرد محمد حسن الزياد (صهر طه حسين، وأحد وزراء خارجية مصر السابقين) في كتابه "ما بعد الأيام" (مصدر سبق ذكره)، صفحات من حياة طه حسين، كما عاشها معه وعرفها... فيقول ما يلي:

"... طه حسين يملئ الكلمة الأخيرة للعدد الأخير الذي تتوقف (الكاتب المصري) بعده عن الصدور، يملئها على حسن محمود (سكرتير تحرير المجلة). في أسى شديد، يقول:

لقد أُرْجِفَ المرجفون، والذين يسرهم الطعن في طه حسين، والذين لا يعملون ويؤذي نفوسهم أن يعمل الناس، وقالوا: إن مجلة (الكاتب المصري) قد صدرت لنشر الصهيونية... والآن وقد انتهى عمر المجلة فإن أعدادها كلها بين يدي القراء، فهم لا يرون فيها إلا دفاعاً عن مصر والعروبة وخدمة لهما بقدر الوسع والطاقة" (ص 138).

وقد أكدنا قول طه حسين هذا بإيراد الفقرات/الاستشهادات الكثيرة، التي ذكرناها في عرضنا التوثيقي هذا، والتي تعبر عن موقف هذه المجلة من قضية فلسطين، ودفاعها عن حق الشعب العربي الفلسطيني في أرض بلده، وحقه في مقاومة الزاحفين المغتصبين، "ودفاعاً عن مصر والعروبة وخدمة لهما بقدر الوسع والمستطاع".

بالإضافة إلى ذلك، يقول محمد حسن الزياد، في كتابه المذكور، إن طه حسين أشار في حديثه إلى التزام المجلة السير ضمن المسارات الأساسية الثلاثة للمجلة وهي: إضاءة على الأدب العربي الحديث، واهتمام بالثقافات الحديثة والقديمة في العالم، واهتمام بدراسة تيارات الفكر والأدب والثقافة في التراث العربي الإسلامي، قائلاً: "لقد التزمنا بما عاهدنا عليه قراء العربية: فوصلناهم بعصورنا العربية والإسلامية الزاهية من جهة، وبهذا العصر الحديث الذي نعيش ويعيشون فيه، من جهة أخرى" (ص 138).

ثالثاً: ... وبعد:

من أوقف مجلة "الكاتب المصري" ولماذا؟

دلالات إيقافها في أيار/مايو 1948

إذاً، وصلنا إلى أيار/مايو 1948، والحرب بدأت طلائعها، وهي واقعة حتماً بين الدول العربية والعصابات الصهيونية في ذلك الحين.

فماذا سيكون حال مجلة "الكاتب المصري" أو مصيرها، تجاه هذه الحرب، وبمواجهة واقع صار معقداً بين محوري المجلة العرب، وملاك المجلة اليهود؟!

لعل طه حسين - في الخضم الاحتدامي لهذا الشهر بالذات - رأى أن من المستحيل استمرار صدور المجلة من دون أن تعرض للأحداث من وجهة النظر العربية، كما كان شأنها في أعدادها كلها، كما وقدّر أنه ربما يستحيل أيضاً على ناشريها، اليهود، أن يقبلوا بموقف يعارض قيام دولة إسرائيل اليهودية.

من هنا، كان طبيعياً أن يتخذ طه حسين قرار إيقاف المجلة، فعمد، في الخامس من أيار/مايو بالذات، إلى إرسال خطاب إلى مدير المطبوعات المصرية يعلمه فيه باستقالته من رئاسة تحرير "الكاتب المصري"، وبأنه غير مسؤول، بعد الآن، عن أي شيء يمكن أن ينشر فيها. وقد جاء في هذا الخطاب ما يلي:

أتشرف بإبلاغكم أن إدارة "الكاتب المصري" قررت وقف هذه المجلة التي كنت رئيس تحريرها. فأرجو أن تتفضلوا فتلاحظوا أنني لم أعد مسؤولاً عما تصدره هذه الدار من النشرات الدورية - طه حسين.

واضح من هذا الخطاب، ومن واقع أن طه حسين هو الذي كتبه وبادر إلى إرساله، بتوقيعه، أن إيقاف المجلة ورفض الاستمرار في تحمل مسؤولية "ما تصدره هذه الدار من النشرات الدورية"، جاء من طرف واحد هو طه حسين نفسه، أولاً.

ويؤكد الباحث علي شلش هذا الاستنتاج من خلال اطلاعه على نصوص رسائل طه حسين وأصحاب المجلة، وعلى تواريخ إرسالها إلى مدير المطبوعات المصرية، ويقول إنه تبين له أن الرغبة في إيقاف المجلة كانت من جانب واحد هو طه حسين (شلش، "طه حسين والأسئلة المربكة"، مصدر سبق ذكره، ص 36 - 37).

أمّا التأكيد الأكثر حسماً في كون طه حسين هو المبادر أساساً إلى إيقاف المجلة في الوقت الحاسم (أيار/مايو 1948)، فهو أن أصحاب المجلة أنفسهم لم يرسلوا إلى مدير المطبوعات المصرية إشعاراً بهذا الإيقاف وتأكيداً له، إلا بعد 26 يوماً من رسالة طه حسين إلى مدير المطبوعات، والتي يعلمه فيها بإيقاف المجلة "التي كنت رئيس تحريرها".

ورسالة أصحاب المجلة هذه وقعها مدير الشركة وأحد أصحابها إدغار هراري، وهي موجهة إلى إدارة المطبوعات المصرية وجاء فيها:

نتشرف بأن نخبر عزتكم بأن إدارة الكاتب المصري قررت وقف مجلتها "الكاتب المصري" ابتداءً من يونيو/حزيران 1948، أي أن العدد الذي صدر في مايو/أيار 1948 كان الأخير منها (شلش، المصدر نفسه، ص 36).

لعل طه حسين، بهذا الإيقاف - الذي جاء في وقته الضروري والطبيعي - وبرسالته إلى مدير المطبوعات المصرية، قطع الطريق على أصحاب الشركة من المصريين اليهود، في أن يواصلوا إصدار مجلتهم، بهيئة تحرير أخرى، تتجاهل القضية، أو تصمت - كما توقع المرجفون والواهمون - فلا تقول كلمة واحدة عن قضية فلسطين، وذلك بعد أن أفاضت، طوال سنوات صدورها، وبقيادة طه حسين، في مناصرة قضية الشعب الفلسطيني، ومعارضة قرار التقسيم، وكشف خطورة "وعد بلفور"، وبعد أن جاهرت بالعداء للصهيونية وللتعصب الصهيوني أساساً، ومنذ البداية، وصولاً إلى صفحات العدد الأخير منها.

ومن يدري، لعل طه حسين يكون، بهذا، قد قطع الطريق على أي إمكان يتيح للشركة إصدار مجلة تقول ما امتنعت "الكاتب المصري"، بقيادته، من أن تقوله طوال سنوات صدورها، إذ لم تبدر منها، عبر صفحات أعدادها الـ 32، أي إشارة تعاطف مع الصهيونية أو مع إسرائيل.. كما أن طه حسين نفسه، منذ البداية، وفي رسالته المذكورة سابقاً، والموجهة إلى الكاتب الفلسطيني خليل شطارة، أعلن تحديّه المتجهّمين عليه، بقوله: "وإني أتحدى من شاء أن يجد في هذا العدد الأول من المجلة، وفي الأعداد التي ستليه إشارة إلى الصهيونية أو تأييداً لها".

وخلافاً لتوقعات المتوقّعين المغرضين وغير المغرضين، أن إصدار المجلة سيخدم أهداف الصهيونية، وعلى العكس من ظنون الصديق العزيز الناقد رجاء النقاش من "أن (الكاتب المصري) انصرفت انصرافاً كاملاً عن معالجة قضية فلسطين، وأنها لم تنشر كلمة واحدة عن هذه القضية على الإطلاق"، فإن المجلة لم تصمت وإنما زادت في القول، وحلّت الوضع من وجهة النظر العربية، وفضحت أهداف "وعد بلفور" الاغتصابية، ودانت جرائم الصهيونية، وكشفت تخاذل الحكومات العربية أمام الدول الكبرى المتآمرة على فلسطين، وخصوصاً بريطانيا وأميركا..

والمضحك المبكي، أنه بعد صدور 32 عدداً في ثمانية مجلدات من هذه المجلة – (التي تعتبر من أهم، إن لم تكن أهم المجالات الفكرية الثقافية التنويرية المستنيرة في تاريخ مجلاتنا العربية الثقافية) – وبعد أعوام من إعادة طبع مجلدات هذه المجلة، الأمر الذي يتيح إعادة القراءة فيها، فإن عدداً من الكتاب العرب، وغيرهم من الكتبة الأصوليين الذين لا يقرأون، أو المصابين بعدوى اتهام الآخرين بشتى التهم المهينة استناداً إلى الشائعات والتقوليات، لا إلى القراءة الفعلية والاطلاع، لا يزالون يواصلون اتهام "الكاتب المصري" بأنها صدرت لخدمة أهداف الصهيونية، وأن طه حسين يميل إلى مهادنتها!.. وهذا الأمر يؤكد إصرار بعض هؤلاء على الافتراء، وارتياح قسم آخر منهم إلى الركود في الجهل، واندفاع آخرين منهم في اعتماد نهج التضليل والتعمية والتجهيل، واستئناس بقيتهم بالابتعاد عن الاحتكام إلى العقل، أو بالتخفيف من مسؤولية اعتماد الموضوعية والعقلانية، وقنوعهم بالتكاسل المعرفي والتبذلّ البحثي، وركونهم السعيد إلى توجيه الاتهامات إلى الخصوم الفكريين من دون أن يشغلوا فكرهم بتعب القراءة في الموضوعات وجهد التعرف على الوقائع! ■

(*) كاتب وناقد لبناني.

(**) هذه المقالة فصل من كتاب للمؤلف نفسه سيصدر قريباً عن دار الفارابي في بيروت، بعنوان: "على هامش سيرة طه حسين". والتشديد من عند المؤلف. (المحرر)

(*) لا بد من الإشارة، هنا، إلى أن دراستنا هذه أنجزت قبل أشهر من غياب الصديق العزيز رجاء النقاش. وفي يقيني أنه كان سيأخذ ملاحظتنا هذه عليه بكثير من الحسنى – كما عودنا – وكان سيعود إلى التدقيق في هذا الموضوع، بكثير من الموضوعية ورحابة الصدر والعقل معاً. ونحن على يقين بأن الفقرات التي نقلها هنا، عن طه حسين ومجلته، فيما يتعلق بهذا الموضوع، تحتوي من الكلمات والفقرات والمواقف ما كان سيرضي الصديق العزيز، ويرسخ تقديره لطه حسين واحترامه له وحبّه.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx